

الصدى ونرجس

من أساطير الميثولوجيا

إليك رواية عذراء أصابها الحزن والاشمئزاز وتملكها الالم والشجن، لأنها كانت تكثر من الكلام والثروة، وكانت تحاول دائماً أن تكون لها الكلمة الأخيرة في كل موضوع شترك في مناقشته أو الكلام فيه. وفي استطاعتك أن تعرف بنفسك إذا كانت هذه الرواية صحيحة وأن تحقق نصيبها من الصواب، إذا اجتازت يوماً نفقاً من الانفاق، أو توغلت في جوف غابة من الغابات الملتفة الأغصان. ألم يقع لك يوماً أن تمر من تحت جسر في إحدى نزهاتك على ظهر النيل الأبدى، وأن ترفع صوتك بالكلام؟ إذا كنت قد فعلت، فلا بد من أن تكون تلك الروح الخيرية التي نسميها «الصدى» والتي تقطن مثل هذه الأماكن المنعزلة، قد رددت ما تفوهت به، وأن تكون قد هزأت بك إذ توهمك بأن شخصاً يعيد عليك ما تقول.

ما أشقى الصدى وما أمر عيشها؟ إنها الآن ليست أكثر من «صوت». غير أنه مر عليها عهد كانت تفرح فيه وترقص في ظلال الغابات المخضوضرة الناضرة، مع غيرها من الخوريات. ولم يكن فيها سوى منقصة واحدة. فأنها كانت كثيرة الكلام، ثرثرة. ومن غريب أمرها أنها كانت تروى ما تقول في قلب يفرى سامعياً بها حتى ينسون الزمان، ويمر عليهم الوقت سراعاً وهم غير شاعرين. وكثيراً ما كانت تهبط «يونو» - Juno - إلى الأرض، وتظل مصغية إلى ما تقول الصدى ساعات تلو ساعات. غير أنها لاحظت يوماً أن الصدى قد أخذت في تسليتها على صورة رغبت من طريقها في أن تسر «جوبتير» - Jupiter، وتحظى به، لأنه كثيراً ما كان يحقق على «يونو» ويحاول أن ينفرد بذاته.

بدأ الحقد يعمل في صدر «يونو» حتى إذا اشتعلت ناره أصبح كراهية شديدة تحترق بين ضلوعها نحو الصدى. ولم تلبث إلا قليلاً حتى انتقمت منها انتقاماً غريباً، بأن أفقدتها قوة النطق، وربطت لسانها عن الكلام. وبذلك أخذت الصدى تكرر آخر المقاطع التي يتفوه بها غيرها. وذلك كل ما تركت لها

« يونو » من قدرة على الكلام .

اما نرجس فتتجمل الطلعة ، سليل آلهين من آلهة الماء . وكان فوق ذلك شجاعاً كبير النفس ، محبوباً أينما حل ، مربوقاً بالتجلة أينما كان . ولكنه كان بلا قلب ، لانه لم يحب في حياته أحداً ، سوى نفسه .

وذات يوم أخذ نرجس يطوف خلال الغابة مع رفقاته ، ووقف يقتطف زهرة من الزهرات البرية ، فابتعد عنه رفقاؤه ، وافتقدتهم فلم يقف لهم على أثر . وبدأ يفكر في أية طريق يسلك ليصل اليهم ، وبينما هو في حيرته ، مر بجانب شجرة البلوط التي كانت تسكنها « الصدى » .

وفي اللحظة التي وقعت عين الفتاة عليه ، وقعت في شرك حبه وهامت به ، وأخذت تتبع خطواته خلال الغابة ، محاولاً أن تلقى اليه بكلمة تعبر بها عن شعورها . ولكنها كانت غير قادرة على النطق ، عاجزة عن الكلام .

وظلت الصدى على هذه الخطة زماناً ، تتبع نرجس ، بينما هو يشق طريقه بين الأغصان باحثاً عن أصدقاته ، والصدى تتسلسل خفية من ورائه ، حتى اذا ما شعر الفتى أنه ضل طريقه في الغابة الموحشة رفع صوته منادياً :

« أمن أحد هنا » . وعندئذ اختفت الصدى وراء شجرة وكررت قوله - « هنا » .

فأخذ الرعب من الفتى كل مأخذ ، لانه كان يظن نفسه فريداً في جوف الغابة . وأخذ يتلفت يمنة ويسرة ، ولما لم ير أحداً يمكن أن يكون السبب في اصداره هذا الصوت ، صاح - « تعال » ! فاجابته الصدى بنفس الصوت - « تعال » ! !

هنا ملأه خوف وأخذته الوحشة الشديدة . اذ لم ير أحداً ، ومع كل ذلك فكانت كل صيحه من صيحاته تتكرر على نفس الصورة التي تخرج بها من فمه . فمضى يصيح ويسأل ، وكانت الصدى تعيد ما يتلفظ به ، ولم يكن في استطاعتها أن تظهر نفسها لنرجس ، لئلا ينضب أو يفزع ، ولكنها مع ذلك لم تكن قادرة على أن تحبس أنفاسها فلا تجيب بشيء أو تمتنع عن ترديد ما تسمع .

ولما أن ملأ الحلق صدر نرجس صاح « لنجتمع هنا » ! فاجابته الصدى

بذرات ملئت فرحاً وسروراً ، وبرزت من وراء الشجرة لتلاقي من تيممها حبه ،
وشفها غرامه .

فلما بلغت الى حيث كان ، حاولت أن تلتقي بذراعيها حول عنقه الجميل ،
لتعبر له بهذه الوسيلة عن الحب الذي يضطرم بين ضلوعها ، لأنها لم تكن تستطيع
التعبير بالكلام . غير ان نرجساً كان يكره كل الكره أن يظهر له أحد حياً أو
يبثه غراماً . فدفعها عنه بخشونة ، وهرب منها متغلغلا في وحشة الغابات ، والى
أقصى أعماقها الخيفة .

ولقد فعلت نظرات نرجس الجافية فعلها في نفس الصدى ، فاختفت في الغابة
واستترسلت مع أحزانها وأخذت تبكي هر البكاء ليلاً ونهاراً ، حتى لقد منع عالمها
حزنها أن تذوق طعاماً أو تتباعد بشراب . فأخذ وجهها يصفر ، وجسمها ينحل ،
وأخذت تتحول الى خيال ، حتى فنى جسمها وفنى عظامها ، ولم يبق منها الا صوت
يتردد بما يقال

ومنذ ذلك الحين كمننت في جوف الغابات والاما كن الموحشة الساكنة ، فلم
يعد أحد يرى شيئاً من جمالها الفتان . ولا من سوا عدها البضة البيضاء . التي كانت
تتسلق بها أشجار الغابات الناضرة . غير أن صوتها لا يزال يسمع حتى الآن بين الدال ،
والأشجار تجيب كل مناد ، وتردد ما يقال من الكلام .



وحنق جويمتر على نرجس . وكان شديد الزهو بجماله ، حتى زين له زهو
أن يقف على حوافي الماء الراكد ينظر الى جماله فيه . وبينما هو ذات يوم
واقف يتطالع الى جماله الفتان في صفحة الماء ، مسخه « جويمتر » زهرة ماترى
حتى اليوم الا على حوافي الغدران الجارية ، وقد تدلى رأسها كما كان يفعل نرجس ،
لترى جمالها في صفحة الماء .